علمية الفكر الخلدوني

د. هرنون نصيرة

المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

لا نبالغ في القول أن هناك صورة قد تكونت عن ابن خلدون و وقع التسليم بها وهي أنه مفكر أصيل من بين سائر مفكرينا القدامى ،أصيل بمعنى أن فكره حقق تجاوزا بالنسبة للنظام المعرفي القديم .وصار على نحو ما معاصرا لنا .فابن خلدون وهو يخرج علم التاريخ من ميدان العلوم الدينية و يدخله إلى دائرة العلوم العقلية إنما ينفصل عن تقليد طويل جرى عليه المؤرخون العرب فأحدث بذلك سبقا لم ينتبه إليه أحد من قبل.

إن المتتبع للتصنيفات التي وضعها العلماء العرب و المسلمون للعلوم يلاحظ أن التاريخ إما غائب تماما عن هذه التصنيفات وإما يشغل مكانا ثانويا كمساعد للعلوم الدينية.

لذلك يعتبر هذا الفصل على مستوى النظرية إنجاز جديد لم يسبق إليه أي أحد صاحب المقدمة، وقد مهد ابن خلدون لهذا الالحاق منذ مفتتح مقدمته و هو

يوجه نقده إلى المنهج التقليدي للتاريخ وهذا ما يبرر نقده لمنهج الاسناد الذي يوقع الباحث في التقليد ولو بغير قصد .

ومنه فإن سؤال مداخلتنا هو التالي كيف تمكن ابن خلدون من تحقيق هذا السبق؟ وماهي مكانة علم التاريخ في التصنيفات الاسلامية ؟ ما هو المنهج الذي اعتمده ابن خلدون في سبيل إلحاق التاريخ بالعلوم العقلية؟ أين تكمن علمية الفكر الخلدوني؟

الاجابة عن هذه الاسئلة تجعلنا نقدر الانجاز الخلدوني حق تقديره ذلك أن صاحب المقدمة قد رفع تنظير التاريخ إلى مستوى ممارسة التاريخ داخل الثقافة العربية في نظرنا،هذا ما سوف نفصل فيه في الورقة الخاصة بمداخلتنا.

أولا : مكانة التاريخ في التصنيف الخلدوني للعلوم.

ثانيا : نقد ابن خلدون للخطاب التاريخي السابق عليه.

ثالثا : موضوع التاريخ في نظر ابن خلدون .

أولا: مكانة التاريخ في التصنيف الخلدوني للعلوم

قبل الخوض في التصنيف الخلدوني تجدر الاشارة إلى أهم تصانيف العلماء المسلمين السابقين لابن خلدون ." هناك ملاحظة أساسية تتعلق بمكانة التاريخ داخل التصنيفات التي وضعها المسلمون للعلوم :فالتاريخ إما غائب تماما عن هذه التصنيفات، وإما يشغل مكانا ثانويا كمساعد للعلوم الدينية، وذلك حسب نمط التصنيف نفسه ، فالتصنيفات التي لا يوجد بها علم التاريخ غالبا ما تقتدي بنموذج يوناني في تصنيف العلوم ، أما حين يثبت التاريخ في تصنيف ما، فإن هذا التصنيف يكون من النمط الذي يحاول الجمع بين العلوم الاجنبية والعلوم الأصيلة "[1] وهذا ما يتبين من خلال العناصر الموالية.

[1]علي أمليل، الخطاب التاريخي ، المركز الثقافي العربي،ط 4 ،المغرب 2005 ،ص 56.

التصنيف لغة:

التصنيف في اللغة هو: "تمييز الأشياء بعضها من بعض، وصنف الشيء: ميز بعضه من بعض، وتصنيف الشيء جعله أصنافا".[1]

و"صنف الأشياء: جعلها صنوفا وميز بعضها من بعض، ومنه تصنيف الكتب، وشجر مصنف: مختلف الألوان والثمر"[2]

وجاء في: "تكملة المعاجم العربية" الذي وضعه المستشرق الهولندي دوزي (1820-1883م) ما نصه: "صنف: رتب الكتاب حسب مواده وموضوعاته، ويقال الكتب المصنفة، وهي الكتب التي رتبت بهذه الطريقة..."[3]

التصنيف في الاصطلاح:

لا تكاد تختلف المفاهيم الاصطلاحية لمصطلح التصنيف في دلالتها العامة عن الدلالة اللغوية المشار إليها سابقا، لأنه لا يخرج عن كونه يفيد ترتيب الأشياء أو العلوم في أقسام أو مجموعات بالنظر إلى العناصر المشتركة بينها،كما يطلق التصنيف أيضا ويراد به ترتيب وسائل ومصادر المعرفة، وإخضاعها لنسق معين في التنظيم، بحيث يكون من اليسير استعادة المعلومات المطلوبة واسترجاعها في أي حقل من حقول المعرفة البشرية، وبطريقة سريعة وناجعة، ولذلك ينعت التصنيف بأنه: "مفتاح تخزين المعلومات في أي ميدان".....ومن

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة صنف)، نشرته دار المعارف بالقاهرة)، ج. 2511/4.

[2] الزمخشري: أساس البلاغة صنف)، ص 260، حققه عبد الرحيم محمود، القاهرة، 1953.

[3] تكملة المعاجم العربية، ج. 476/6، ترجمة: محمد سليم النعيمي، مراجعة: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1982

هـذا المنطلـق، يلاحـظ أن هنـاك مـن يعـرف العلـم نفسـه بأنـه: "تنظـيم المعـارف وتصنيفها على أسس إيضاحية"[1].

أولا : تصانيف العلماء السابقين لابن خلدون.

قبـل الخـوض فـي التصـنيف الخلـدوني تجـدر الاشـارة إلـى أهـم تصـانيف العلماء المسلمين السابقين لابن خلدون ." هناك ملاحظة أساسية تتعلق بمكانة التـاريخ داخـل التصـنيفات التـي وضـعها المسـلمون للعلـوم :فالتـاريخ إمـا غائـب تمامـا عـن هـذه التصـنيفات ،وإمـا يشـغل مكانـا ثانويـا كمسـاعد للعلـوم الدينيـة ، وذلك حسب نمط التصنيف نفسه ، فالتصنيفات التي لا يوجد بها علـم التاريخ غالبـا مـا تقتـدي بنمـوذج يونـاني في تصـنيف العلـوم ، أمـا حـين يثبـت التـاريخ في تصنيف ما ، فإن هذا التصنيف يكـون مـن النمـط الـذي يحـاول الجمـع بـين العلـوم الاجنبية والعلوم الأصيلة "[2]

أ - تصنيف أرسطو للعلوم :

1 – العلوم النظرية (الطبيعة وما بعد الرياضيات و ما بعد الطبيعة)

2 – العلوم العملية (الأخلاق والسياسة والاقتصاد)

3 – العلوم الشعرية (الخطابة والشعر ، وتشمل الفن بأنماطه)

لا أثر لعلم التاريخ في التصنيف الأرسطي ، و كـذلك التصـنيفات الاسـلامية التي اقتدت بالتصنيف الارسطي بدورها لا أثر فيها لعلـم التـاريخ رغـم أصـالته كعلم عربي إسلامي.

[1] ارنست ماير: هذا هو علم البيولوجيا دراسة في ماهية الحياة والأحياء، ص 142، ترجمة عفيفي محمود عفيفي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 277، يناير 2002، الكويت.

[2] علي أمليل، الخطاب التاريخي ، المركز الثقافي العربي،ط 4 ،المغرب 2005 ،ص 56

ب - تصنيف الفارابي للعلوم

صنف الفارابي العلوم على النحو التالي

1 – "علم اللسان

2 – علم المنطق

3 – علوم الرياضة

4 – الطبيعة وما بعد الطبيعة

5 – علم السياسة والفقه والكلام" [1]

هذا التصنيف لا يخرج عن الخط الارسطي ، الاختلاف البسيط يكمن في محاولة الفارابي لإدخال ثلاثة علوم إسلامية أصيلة ضمن التصنيف الارسطي(اللسان و الفقه و الكلام) .

علما أن" علم اللسان لا يعني به علم اللغة (العربية)،والفقه لا يقصره على الفقه الاسلامي ،وكذا الكلام ،بل يقصد علوم الفقه والكلام كما يمكن أن توجد عند أي أمة "[2]

تصنيف العلوم عند ابن سينا:

أورد ابن سينا تقسيما للعلوم في العديد من مؤلفاته، إلا أن أوضح تصنيف له هو التصنيف الذل أفرد له رسالة سماها « رسالة في أقسام العلوم العقلية » ولذلك فإننا سنعتمدها في توضيح تصنيف العلوم عنده .

قسم ابن سينا علوم الحكمة إلي قسمين رئيسيين : كل قسم منها يتفرع إلي فروع وأجزاء.

[1] الفارابي، إحصاء العلوم ،تحقيق عثمان أمين ، القاهرة ، 1949، ص49

[2] علي أومليل، الخطاب التاريخي ، ص 58

الأول: علوم نظرية مجردة :

وغايتها حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان، وإنما يكون المقصود منها حصول رأي فقط مثل : علم التوحيد، وعلم الهيأة ، وتنقسم هذه العلوم إلي ثلاثة أقسام

ـ العلم الأسفل ، ويسمى العلم الطبيعي .

ـ العلم الأوسط ، ويسمى العلم الرياضي .

ـ والعلم الأعلى ، ويسمى العلم الإلهي .

ولكل علم من هذه العلوم أقسام أصلية . وأقسام فرعية، ومما يندرج في العلم لأعلى (العلم الإلهي :

- -النظر في معرفة المعاني العامة لجيمع الموجودات .
- -النظر في الأصول والمبادئ مثل علم الطبيعيين والرياضيين وعلم المنطق .
- -النظر في إثبات الحق الأول وتوحيده .
- -النظر في إثبات الجواهر الروحانية وهي الملائكة .
- -النظر في تسخير الجواهر الجسمانية السماوية والأرضية لتلك الجواهر الروحانية.
- -معرفة كيفية نزول الوحي.
- -علم المعاد، وهو الذي يبحث في أحوال البعث من السعادة والشقاوة الروحانيتين اللتين تعرفان بالعقل ،والبدنيتين اللتين تعرفان بالشرع .

الثاني: علوم عملية :

والمقصود منها ليس حصول رأي فقط ، بل حصول رأي لأجل عمل ،وهي ثلاثة أقسام كـ:

-علم الأخلاق : وهو الذي يعرف به الإنسان كيف تكون أخلاقه وأفعاله، ويشتمل عليه كتاب أرسطو طاليس في الأخلاق .

-علم تدبير المنزل: ويشتمل عليه كتاب « أرونس » في تدبير المنزل .

-علم السياسة المدنية : ويشتمل عليه أفلاطون وأرسطو في السياسة، ويلحق به ما يتعلق بالنبوة والشريعة . وهو ما يعرف به وجود النبوة وحاجة نوع الإنسان في وجوده وبقائه إلي الشريعة . وتعرف به بعض الحكمة في الحدود الكلية المشتركة في الصنائع ، والتي تخص شريعة شريعة بحسب قوم قوم وزمان زمان . ويعرف به الفرق بين النبوة الإلهية وبين الدعاوى الباطلة كلها .

الأول: خصصه لما يسميه بـ "العلوم النظرية المجردة" وتتضمن عنده ثلاثة أقسام:

- العلم الأسفل، ويسميه "العلم الطبيعي".
- العلم الأوسط، ويسميه "العلم الرياضي".
- العلم الأعلى، ويسميه "العلم الإلهي".

الثاني: ويسميه "العلوم العملية" وجعلها في ثلاثة أقسام:

- علم الأخلاق.
- علم تدبير المنزل.
- علم السياسة المدنية.

لا أثر في تصنيفه لعلم الأخبار، أو علم التاريخ وهو تصنيف مقلد للتصنيف الارسطي وكذلك الفارابي، وإذا كانت تصانيف الفارابي وابن سينا تختلفان فيما بينها في نسبة التقليد فيها، وفي مقدار ما تميزت به من عنصر الجدة ، فإننا نجدها تشترك في بعض الخصائص المشتقة في أغلبها من تأثرها بالتصنيف اليوناني مع اختلاف فيما بينها في درجة تحقق تلك الخصائص فيها ، وهو ما سنبينه محاكاة الهيكلية الأرسطية : إذا تأملنا في الهيكل العام الذي أقيمت عليه التصانيف الآنفة الذكر وجدناها كلها أخذت من الهيكلية الأرسطية في

التصنيف، مع تفاوت بينها في ذلك الأخذ بين استفادة ما وقع إدراجه ضمن هيكلة تبدو جديدة، وبين محاكاته برمته .

فابن سينا يكاد في تصنيفه يقلد تماما أرسطو العلوم إلي نظرية وعملية ، وتقسيم النظرية إلي إلهية ورياضية وطبيعية ، وتقسيم العلمية إلي الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة .

ورغم أن الفارابي بني هيكل تصنيفه على خمسة أقسام فإننا إذا تجاوزنا القسمين الأولين (علم اللسان وعلم المنطق) باعتبار هما لا يدخلان في تصميم هيكل العلوم لأنهما من علوم الآلة ، فإن الأقسام الثلاثة الباقية تتوزع فيما بينها العلم والإلهيات ، والعلم العملي حيث خصص له القسم الخامس .

بهذا يكون الفارابي كأنما وزع القسم النظري عند أرسطو إلي قسمين هما الثالث والرابع في تصنيفه إذا تصنيف كل منهما لا يخرج عن نطاق التصنيف الارسطي.

ج - تصنيف ابن النديم :

اكتسب كتاب الفهرست لابن النديم أهمية كبيرة كونه استطاع فيه تصنيف المعرفة الإنسانية، وعُد أول عمل ببليوغرافي في اللغة العربية وأول خطوة من خطوات الضبط الببليوغرافي العربي وبذلك يعد مرآة حقيقية على ازدهار الحضارة العربية الزاهرة في عصره،فمنهج ابن النديم في عمل هذا الكتاب الببليوغرافي يتلخص في أنه قسم كتابه إلى عشرة أقسام، كلُ منها إلى مقالة ثم قسم كل مقالة إلى فنون بلغت اثنين وثلاثين فناً، استطاعت استيعاب مختلف العلوم والفنون السائدة في عصره فقد جمع فيه أسماء الكتب التي كانت معروفة في أواخر القرن الرابع الهجري ورتبها وفق موضوعاتها ثم ثبت أسماء مؤلفيها، وبذلك يكون ابن النديم أول من وضع أسساً لتصنيف الكتب، وأول من وضع فهرساً موحداً للعلوم المختلفة، لا نجد في الفهرست تصنيفا للعلوم مثبتا في

هذا الفصل أو ذاك إلا أن المنهجية التي بُنِيَّ وفقها الكتاب تبرز تصنيفا للعلوم حيث قسم الكتاب إلى عشر مقالات،ستة منها خصصت للعلوم (الأصلية) وأربعة خصصت للعلوم الاجنبية

1 – "المقالة الأولى : علوم اللغة

2 – المقالة الثانية :تتعلق بالنحاة والنحويين

3 – المقالة الثالثة بعلم التاريخ (الأخبار والسير)مع موضوعات أدبية أخرى

4 – المقالة الرابعة : تتعلق بالشعر والشعراء

5 – المقالة الخامسة :الكلام والمتكلمين

6 – المقالة السادسة :تهتم بالفقه والفقهاء ورجال الحديث

7 - المقالة السابعة التي موضوعها (الفلاسفة الطبيعيون والمنطقيون)

8 – المقالة الثامنة :تتناول السحر والعرافة

9 – المقالة التاسعة: تتناول المذاهب والعقائد الغريبة على الاسلام

10 – المقالة العاشرة : تهتم بالكيمياء"[1]

نلاحظ أن ابن النديم صنف علم التاريخ أو الاخبار ضمن العلوم التقليدية أو العلوم الاصيلة وقد كان يسميه علم الاخبار

د - تصنيف ابن حزم

1 – "علم شريعة الاسلام (علم القرآن ، والحديث ، والفقه والكلام)

2 – النحو

3 – علم اللغة

[1] ابن النديم ، الفهرست ، ص 302 و 338

4 – علم الأخبار (التاريخ) هدفه المنفعة في الدنيا والآخرة

5 – علم الفلك

6 – الرياضيات

7 – المنطق

8 – الطب

9 – الشعر .

10 – الخطلبة .

11 – علم العبارة "[1]

يضع ابن حزم مقياسا لجدوى كل علم ، وهو نفعه للعالم الآخر،حيث قام باستعراض كل العلوم "فوجد أن بعضها حرام الاشتغال به كالسحر والتنجيم ،و بعضها نافع ولكن منفعة دنيوية كالطب والرياضيات والمنطق أما "العلم الالهي (الميتافيزيقا) وهو أسمى العلوم في النظام الفلسفي ، فيستعاض عنه بعلم الدين (الاسلامي ، أشرف العلوم "[2]لأن الفلسفة في نظره لا يمكنها أن تقوم مقام الدين في ميادين" ثلاثة :أن تنشئ أخلاقا ،وتقيم عدلا ، وتضمن النجاة في الآخرة "[3].نلاحظ أن ابن حزم صنف التاريخ علما ما عدا علوم الدين وهو من العلوم النافعة .

ما نستخلصه من عرضنا لمختلف التصنيفات أن مكانة علم التاريخ عند هؤلاء جميعا لا تعكس المكانة الحقيقة لهذا العلم كما مارسه المؤرخون

[1] رسالة التوقيف ، رسائل ابن حزم الفلسفية)، نشر إحسان عباس ، دون تاريخ) ص 78 – 80

[2] رسالة التوقيف ص 74

[3] المصدرالسابق ص 86

العرب والمسلمون ففي كل التصنيفات نلاحظ أن التاريخ أو علم الأخبار ورد ضمن العلوم الشرعية أو أغفل تماما عن التصنيف كما هو الحال عند ابن سينا والفارابي على العكس من ذلك نلمس أمرا جديدا ومختلفا عند ابن خلدون في تصنيفه للعلوم .

ت - التاريخ في التصنيف الخلدوني للعلوم

صنف ابن خلدون العلوم إلى صنفين وهي العلوم العقلية ، والعلوم الشرعية وهو في هذا لم يخرج عن التصنيف المعتاد والمعمول به " إعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما على صنفين ، صنف طبيعي يهتدي الانسان إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه ، الأول هي العلوم الحكمية الفلسفية و هي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره و يهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها ...والثاني هي العلوم النقلية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال للعقل فيها إلا في إلصاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج بثبوت الحكم في الأصل وهو نقلي، فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه "[1]

لكن معيار صدق الخبر التاريخي والخبر الشرعي عند ابن خلدون ليس سيان، ففي هذا النص يفصل ابن خلدون فصلا منهجيا بين معيارين لدراسة الخبر فالاخبار الشرعية معيار صدقها الاستناد إلى نص مقدس ،والاخبار عن الواقعات أي تلك التي تخبر عن وقائع من الطبيعة أو التاريخ معيار صدقها اعتبار المطابقة .

بهذا الفصل المنهجي غيَّر ابن خلدون النظام المعرفي المعتاد ، و اتخذ موقفا عقلانيا حقيقيا من كل خطاب يخبر عن الواقع . فالمؤرخين السابقين

[1] عبد الرحمن ابن خلدون الفصل الرابع، الباب السابع، المقدمة ،ص 779 – 780

لابن خلدون يعتمدون منهج الاسناد في التحقق من سلامة الخبر التاريخي والخبر الشرعي معا لكن ابن خلدون غيّر المعايير التي نقيس بها الخبر التاريخي وطالب بضرورة المطابقة والتأكد من سلامة الخبر عن طريق إخضاعه للنقد وللدراسة الميدانية ذلك أن الكذب يتطرق لا محالة للخبر التاريخي بصفة خاصة.

وعليه يمكننا تحديد تصنيف ابن خلدون كالتالي :

العلوم النقلية :

1 – علوم القرآن

2 – الحديث

3 – الفقه

4 – الكلام

5 – التصوف

6 علم تعبير الرؤيا

العلوم العقلية (العلوم الفلسفية الحكمية)

1 – المنطق

2 – الرياضيات (الحساب والهندسة والفلك والموسيقى)

3 – الطبيعة

4 – مابعد الطبيعة

ما نلاحظه في التصنيف الخلدوني للعلوم هو أن علم التاريخ لم يرد ذكره ضمن العلوم النقلية كما سبق الذكر بل نجده قد ألحقه بالعلوم الفلسفية أو العقلية لأن العلوم العقلية عند ابن خلدون هي نفسها العلوم الفلسفية والنص

الموالي يثبت صحة هذا الاستنتاج " فهو – علم التاريخ – لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق "[1] .

الجديد الذي تميز به ابن خلدون عن سابقيه هو إخراجه لعلم التاريخ من دائرة العلوم الشرعية كما كان معمول به عند علماء عصره وإلحاقه بالعلوم العقلية .

اذا لا نبالغ إذا قلنا أن ابن خلدون قد حقق خطوة هامة على مستوى " تنظير التاريخ العربي بفصله المنهجي لعلم التاريخ عن العلوم الدينية فصلا على مستوى النظرية ...إن هذا الفصل على مستوى النظرية إنجاز جديد لم يسبق إليه صاحب المقدمة"[2] فابن خلدون وهو يُخْرِجُ علم التاريخ من ميدان العلوم الدينية إنما ينفصل بذلك عن تقليد طويل جرى عليه المؤرخون ردحا من الزمن و يسجل سبقا لم ينتبه إليه أحد من قبل . هذه النتيجة التي حققها ابن خلدون قد حولت مجرى التاريخ العربي الإسلامي لأن ابن خلدون بإلحاقه .التاريخ ضمن العلوم العقلية نجده غير منهج التاريخ وهدفه وطبعه بطابع العقلانية وهذا ما نلمسه من خلال نقد ابن خلدون للخطاب التاريخي السابق عليه.

ثانيا: نقد ابن خلدون للخطاب التاريخي السابق عليه.

" إن فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الايام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر أودعوها كأبي جرير الطبري ومحمد بن يحي، ومحمد بن سعيد و خلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وَهِمُوا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات لفقوها و وضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها..... وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد) المقدمة، ص435

[2] علي أمليل، الخطاب التاريخي ص55

سمينا لم يعرضوها على أصولها ،ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ،و تحكيم النظر في البصيرة والأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مظنة الكذب و مطية الهذر ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد .."[1] يؤكد ابن خلدون في هذا النص " أن التاريخ المدوّن معدِدًا ألوانا من التحريف شوّهت جوانب منه، وأشكالا من التزييف لحقت به دون أن تفطن إلى ذلك الأجيال المتتابعة"[2].ذلك راجع للكثير من العوامل المؤدية للوقوع في الخطأ .

أسباب الوقوع في الخطأ التاريخي: انشغل ابن خلدون بالبحث عن أسباب الوقوع في الخطأ التاريخي حتى يبرر رفضه للإسناد كمنهج ويبطل فعاليته ،لأن المؤرخ عرضة للخطأ ولابد من اتخاذ الحيطة والحذر عند دراسته حتى لا يقع في المزالق التي حصرها ابن خلدون في ما يلي:

التشيع للآراء والمذاهب:يقول ابن خلدون عن هذا الخطأ الخطير: "ربما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه فمنها التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب"[(3)] بالتشيع تنعدم إذن الموضوعية التي يطالب ابن خلدون بضرورة توفيرها لدراسة الخبر التاريخي.

---

[1] ابن خلدون، المقدمة ، ص16

[2] مصطفى الشكعة،الاسس الإسلامية في فكر ابن خلدون، الدار اللبنانية،ط 2 1988 ص34.

[3] ابن خلدون: المقدمة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 20.

الثقة بالناقلين: يصف ابن خلدون هذا الخطأ بقوله: "ثاني سبب الثقة بالناقلين وتعديل ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح"[1] ولذلك يطالب ابن خلدون بضرورة النقد وعدم الاكتراث والانسياق وراء ما نسمعه لمجرد معرفتنا بأصحابه.

الذهول عن المقاصد: هذا الخطأ يقول فيه ابن خلدون: "فكثير من الناقلين لا يعرف بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب"[2] بمعنى أن الناقل يلتقط الخبر ولكن فهمه الخاطئ للقصد منه، يجعله ينقل الفكرة كما أدركها لا كما هي في الواقع، وبذلك ينقل خبرا مزيفا ظنا منه أنه سليم.

توهم الصدق: هذا الخطأ يصفه ابن خلدون بقوله: "وهو كثير إنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين"[3] أي قبول الخبر دون تمحيص للاعتقاد بأنه صحيح.

الجهل بتطبيق الأحوال: هذا الخطأ الذي يعرض للمؤرخين نتيجة الكذب يصفه ابن خلدون بقوله: "الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما بداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه"[4] معنى ذلك أن هناك بعض الدساسين الذين يصطنعون الأحداث، ويقرون أخبارا لا وجود لها في الواقع وبالتالي ينخدع المؤرخ وينقل الخبر الكاذب عن غير قصد منه.

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، دار الجيل، ص 32.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

[3] ابن خلدون: المقدمة، لجنة البيان العربي، ج1، ص 31.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التقرب لأصحاب التجلة والمراتب: هذا الخطأ من الأخطاء الشائعة أيضًا وفيه يقول ابن خلدون: "قرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح، وتحسن الأحوال وإشاعة الذكر فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقة، فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها"[1] معنى هذا النص هو تملق الناس لأصحاب السلطة والمناصب العليا بغرض تحقيق منافع دنيوية، مقابل المدح والثناء لغير مستحقيه.

الجهل بطبائع الأحوال في العمران:وهو أهم الأسباب عند ابن خلدون: "فإن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض"[2] في هذا النص يؤكد ابن خلدون أن لكل ظاهرة اجتماعية إنسانية أو طبيعية قوانين تتحكم فيها في حالة ثبوتها أو تغيرها لذلك وجب على المؤرخ أن يكون على علم بهذه القوانين حتى يتمكن من تمييز الخطأ من الصواب. هذه الاسباب دليل على أن منهج الإسناد عرضة للوقوع في الخطأ و التقليد ولابد من منهج جديد مختلف لتجاوز أسباب الخطأ في نقل الخبر.

بعد وقوف ابن خلدون على أسباب وقوع المؤرخين العرب في الخطأ التاريخي انتهى إلى نتيجة مفادها "أن الخطاب التاريخي التقليدي خاطئ من الأساس ذلك أن الجهل بقوانين العمران التي يؤكد ابن خلدون أنه مكتشفها يحرم المؤرخين من أهم معيار لقياس صحة الأخبار،لقد أراد ابن خلدون إقرار

[1] ابن خلدون: المقدمة، لجنة البيان العربي، ج1، ص 31.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

خطاب جديد للتاريخ العربي الإسلامي فجعل معرفة العمران شرطًا لإقامة خطاب تاريخي فالمؤرخين الذين سبقوا ابن خلدون انشغلوا بظاهر التاريخ في نظر ابن خلدون أي انشغلوا بجمع الاخبار وحفظها ولم ينشغلوا بباطن التاريخ أي بالتعليل والنقد والتمحيص لتلك الأخبار فهو يثني عليهم لأنه أرادوا المحافظة على نقل الأخبار وسلامتها لكن المنهج الذي اعتمدوه لا يصلح إلا للخبر الديني لكن الخبر التاريخي عنده أوسع وأشمل فهو يتعرض لكل الحوادث الانسانية لذلك لابد من الاعتماد على منهج أكثر دقة وشمولية و هو المنهج التاريخي العلمي العقلي النقدي الذي أبدعه بالقياس إلى معاصريه .

1 - نقد ابن خلدون لمنهج الإسناد: " وأما الأخبار عن الواقعات فلابد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة ، فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه "[1] و مبدأ المطابقة لا يتماشى ومنهج الاسناد الذي يعتمده المؤرخون قبل ابن خلدون وذلك راجع لجعلهم بطبيعة الاحوال .

يعترف ابن خلدون بفضل المؤرخين السابقين عليه في انشغالهم بعلم التاريخ وفي مقدمتهم الطبري مثلا في اعتماده منهج الاسناد: " فبفضل منهج الإسناد الذي طبقه الطبري بصرامة على علم التاريخ اعترف لأخباره بالتفوق"[(2)].

وعليه فإن ابن خلدون نقد الإسناد لأنه لم يعد يتماشى مع طبيعة موضوع علم التاريخ، لأن الموضوع أوسع من المنهج أي أن منهج الإسناد لا يتطابق مع المجتمع البشري كله لذلك استبدله ابن خلدون بمنهج عقلاني يرفض الاسناد الذي يجرللتقليد ويدعو للمطابقة، وقد مهد ابن خلدون لهذا الأمر أي نقد الإسناد من خلال تحديده لمجموعة من الأسباب تؤدي بالناقل إلى الوقوع في

[1] المقدمة بن خلدون ، 37

[2] علي أومليل: الخطاب التاريخي، ص ص 40-41.

الخطأ التاريخي كما سبق الذكر وقد سجل بذلك تجاوزا لسابقيه بدون منازع وكان أول من نبه للموضوعية في علم التاريخ. وتكفي مقارنة بسيطة بين أسلوب ابن خلدون والطبري للتأكد من ذلك. ولنرى ما يقوله الطبري أولاً: "ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط لفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذا كان العلم بما كان من أخبار الماضي وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضيين، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ومعنى في الحقيقة فيعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلِنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا"[1].

إن نص الطبري يدل على أمانة الطبري في نقله لكننا لا نجد فيه لغة اليقين التي يتحدث بها ابن خلدون، فالتاريخ عند ابن خلدون نظر وتحقيق وتحليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع بالتساؤل فشتان بين موقف الطبري، من التاريخ وموقف ابن خلدون.وبالفعل، فإن الطبري يقف عند السرد التاريخي بينما ابن خلدون يعلق ويبحث ويدقق، وينتقد حتى يتأكد من سلامة الخبر بطريقة علمية لا علاقة لها بالإسناد الذي يوقعنا في الزلل حتى لو كان ذلك بغير إرادتنا.

2 – **نقد التقليد** . دخل ابن خلدون في محاسبة نقدية مع كل المؤرخين بدون استثناء حتى الكبار منهم، يقول عن المؤرخين " وأدوها إلينا كما

[1] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، المطبعة الحسينية، ط1، بدون تاريخ، ص 05.

سمعوها- الاخبار - ولم يلاحظوا أسباب الوقائع و الافعال ولم يراعوها ولا رفضوا تراهات الاحاديث و لا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل ،والغلط والوهم نسيب للأخبار ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل والتطفل على الفنون عريض وطويل ومرعى الجهل بين الانام وخيم وبيل ، والحق لا يقاوم سلطانه...و الناقل إنما هو يملي والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل ، هذا وقد دون الناس في الأخبار وأكثروا وجمعوا تواريخ الأمم في العالم وسطروا ، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المعتبرة و استفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قليلون لا يكادون يجازون عدد الانامل ولا حركات العوامل مثل ابن اسحاق والطبري وابن الكلبي و محمد بن عمر الواقدي والمسعودي "[1] . هؤلاء المؤرخين الذين عرفوا بالأمانة كانوا قدوة لغيرهم الذين قلدوهم في نقل الخبر دون تمحيص غافلين عن قوانين التبدل والتغير والتحول التي تتحكم في سير الاحداث والوقائع.

" ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال ويذهل عما أحالته الايام من الاحوال واستبدلت به من عوائد الامم و الاجيال ، فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الاول صورا قد تجردت عن موادها و صفاحا انتضيت من أغمادها .....إنما هي حوادث لم تعلم أصولها وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتهم الاخبار المتداولة بأعيانها اتباعا لمن عني من المتقدمين بشأنها ويغفلون أمر الاجيال الناشئة في ديوانها بما أوعز عليهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم عن بيانها"[2] وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال . "سيما حين يستقيم التقليد آنذاك يكرر

[1] ابن خلدون ، المقدمة

[2] المقدمة ، ص 17

المؤرخون وهم في غفلة تامة إنتاج أخبار وأنماط من ماض بائد فيخلدون الخطأ والخطاب المجرد الذي يحمله"[1].

وهذا ما حاربه ابن خلدون من خلال وضعه لمنهج علمي تجاوز من خلاله منهج الاسناد وكذلك منهج الجرح والتعديل .- علما أن ابن خلدون فضل منهج الجرح والتعديل ورفض الاسناد .

ثالثا: موضوع التاريخ في نظر ابن خلدون :

الجدير بالذكر هو أن ابن خلدون لم يذكر علم التاريخ ضمن تصنيفه للعلوم لأنه كان يؤمن أنه أول من اكتشف علم التاريخ بمعناه الذي يتجاوز المعنى التقليدي " إعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص ،وليس من علم الخطابة ...ولا هو أيضا من علم السياسة المدنية .... فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه ، ولكنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة ،وما أدري لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم ، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا ، فالعلم كثيرة ،والحكماء في أمم النوع الانساني متعددون ،وما يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل "[2] في هذا النص يقر ابن خلدون أن لا أحد سبقه لتحديد موضوع التاريخ وربطه أياه بالعمران البشري كما فعل هو " إعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال "[3] " فأنشأت في التاريخ كتابا رفعت به عن الناشئة من الاجيال حجابا ،وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا ،وأبديت فيه لأولوية العمران والدول عللا

[1] علي أومليل: الخطاب التاريخي، ص 269.

[2] المقدمة ص 37

[3] المقدمة ، ص 27

وأسبابا ....فهذبت مناحيه تهذيبا وقربته لأفهام العلماء والخاصة تقريبا وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا واخترعته من بين المناخي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة وأسلوبا وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن و ما يعرض في الاجماع الانساني من العوارض الذاتية "[1] ، ذلك أن موضوع علم التاريخ قبل ابن خلدون كان يهتم بنقل وحفظ أخبار الرسول(ص) والقبائل العربية المحيطة به "لقد نشأ علم التاريخ العربي للحفاظ على تراثين؛ تراث النبي (حروبه، أفعاله، أقواله، والظروف التي قيلت فيها) وماضي القبائل العربية السابق على الإسلام"[(2)] .

موضوع التاريخ في منظور ابن خلدون تغيّر فلم يعد يقتصر على سرد أخبار الأولين بل أصبح أكثر اتساعا وشمولا، قد أصبح التاريخ خبرًا عن الاجتماع الإنساني بكامله، ما يعني أن ابن خلدون قد غيّر موضوع التاريخ وجعله أكثر تعميما وشمولا بعد أن كان يحتضن فقط أخبار المسلمين، والنبي(ص)، وأصبح التاريخ مع ابن خلدون تاريخًا للإنسانية جمعاء، فهو خبر عن الاجتماع البشري ككل ، وهذا أمر لم يسبق إليه أي أحد -قبل ابن خلدون - يقول روبير فلنت: "كل من يقرأ مقدمته بإخلاص ونزاهة لا يستطيع إلا أن يعترف بأن حق ابن خلدون في هذا الشرف، شرف التسمية باسم مؤسس علم التاريخ وفلسفة التاريخ أقوى وأثبت من حق كل كاتب آخر سبق فيكو"[(3)] ويقول جريس كارنس: "إنه [أي ابن خلدون] كان عصريا Moderne في فلسفته في التاريخ بطريقة مذهلة"[(4)]

[1] المقدمة، ص 18

[2] المصدر نفسه، ص 14.

[3] R. Flint : History of the philosophy, London, 1894, p 143.

[4] G. Cairns : Philodophy of history, Peter Own, 1963, p 336.

"أما بعد فإن فن التاريخ ...في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى .....وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ،وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق"[1]

فظاهر التاريخ لا يسمح بتكوين التاريخ كعلم وهو الذي كان سائدا في تارخ المؤرخين السابقين لابن خلدون ، أما باطن التاريخ هو علم بكيفيات الوقائع وهو نظر وتحقيق ورفض لكل تقليد "فأنشأت في التاريخ كتابا .... يعرفك دخل أهل الدول من أبوابها حتى تنزع من التقليد يدك"[2].

1 - منهج ابن خلدون في دراسة التاريخ:

"وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف انشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حضل الظن بصدقها ، وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط وأما الأخبار عن الواقعات فلابد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة ، فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه "[3]

يقر ابن خلدون أن الجرح والتعديل يتماشى مع طبيعة الاخبار الشرعية التي تستلزم شروطا أخلاقية ودينية اشترطها العلماء في ناقل الحديث ، أما الاخبار المتعلقة بالوقائع و الاحداث التاريخية فتتطلب شروطا مختلفة وهذا ما نستشفه من نص ابن خلدون التالي " يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة ،وطبائع الموجودات ،واختلاف الأمم والبقاع و الأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال ،و الاحاطة بالحاضر من ذلك و ممثالة بينه وبين الغائب من الوفاق ،أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل

[1] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ص 6

[2] المصدر نفسه ص7

[3] ابن خلدون المقدمة ص 37

المتفق منها والمختلف ،والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبرة ، و حينئذ يعرض الخبر المنقول على ما عنده من القواعد و الأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا و إلا استغنى عنه .وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلك "[1] في هذا النص وضع ابن خلدون شروطا للمؤرخ، لا يستقيم له فكر بغيرها ، ولا ينطلق له قلم بدونها وهو بهذا يتخذ موقف عقلاني من كل خطاب يخبر عن وقائع وفيما يخص علم التاريخ فإن عقلانية ابن خلدون تتجسد في جعله للعمران مرجعا لكل خطاب تاريخي فصحة الخطاب لا تتعلق بمجرد أخلاقيات الناقلين ولكن لابد من " معرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه و أوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها ، وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة "[2]

لذلك دعا ابن خلدون لدراسة التاريخ وفق منهج عقلاني ذلك أن التاريخ كالعلم الطبيعي له قوانينه التي تتحكم فيه."لأن الاخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل و لم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة..... فربما لم يؤمن فيها من العثور و مزلة القدم و الحيد عن جادة الصدق " [3] .

عقلنة التاريخ عند ابن خلدون جعلته يطبق المنهج العلمي في دراسة الوقائع، ويتجسد ذلك في اعتماده على مبدأ السببية ومبدأ التبدل والتغير أو التحول حيث طبق منهجه العلمي في دراسته لمفهوم الدولة ، وذلك بوقوفه عند أسباب تقدم الدولة وتطورها ،وكذلك أسباب انهيارها حيث قدم نظرية العمران البشري والتي يجعل فيها من العمران وسيلة لدراسة التاريخ دراسة علمية واقعية موضوعية،كما طبقه في دراسته لعلم الكلام عندما بحث في أسباب نشأة علم الكلام وحذر

[1] ابن خلدون المقدمة ، ص 37

[2] ابن خلدون المقدمة ص 37

[3] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ص 21

العوام من الخوض فيه كما طبق منهجه في دراسته لعلم التصوف والذي درسه كظاهرة انسانية تطورت عبر التاريخ حيث بين أسباب ظهور التصوف في رسالة شفاء السائل لتهذيب المسائل و بَيَّن كيفية تحول الناس عن أخلاق الرسول (ص) وإقبالهم على الدنيا وتمسك البعض الآخر بأخلاق النبي إلى غاية ظهور هذا العلم كعلم مستقل قائم بذاته له شيوخه ومراتبه .كما طبق منهجه في دراسته للأحداث والوقائع التاريخية عندما بحث عن أسباب الوقوع في الخطأ التاريخي كما سبق الذكر.

فابن خلدون لم يكن عالم كلام ولكنه كان دارسا لعلم الكلام دراسة تاريخية ولم يكن متصوفا بل كان باحثا في مجال التصوف معتبرا اياه ظاهرة انسانية تتبدل وتتطور لأسباب تقتضيها كما كان مؤرخا لنشأة الدولة ولأسباب زوالها، أما دراسته للتاريخ فقد جعلته مؤرخا من الطراز الأول ومؤسسا لعلم التاريخ وفيلسوفا للتاريخ بشهادة المفكرين الغربين رغم عنصريتهم .أما عن علم العمران فقد كان أول مفكر يتحدث عن فكرة المطابقة والمعاينة الميدانية بغرض التأكد من سلامة الخبر أو الحدث.

2 - هدف ابن خلدون من دراسة التاريخ

إن غرض المؤرخين السابقين عليه من دراسة التاريخ هو نقل الخبر الصحيح بغرض الوعظ والإرشاد والتماس العبرة الأخلاقية من السلف، لكن غرض ابن خلدون كان مختلفًا تماما عن غرض سابقيه فهو يدرس الحوادث التاريخية الإنسانية بمختلف أنواعها ويطبق عليها مبدأ السببية حيث كان يعمد إلى البحث عن الأسباب وغرضه من ذلك هو معرفة القوانين التي تحكم العمران البشري، فابن خلدون يؤمن بوجود علاقة علية بين الظواهر والوقائع، وهذا القانون كما هو معروف يستعمل في العلوم الطبيعية، وعبقرية ابن خلدون

تكمن في تطبيقه على التاريخ بطريقة واضحة ملموسة، وهنا يكمن تميز ابن خلدون عن سابقيه.

والحقيقة أن ابن خلدون تجاوز فعلا سابقيه الذين اكتفوا بمجرد إنتاج الخبر التاريخي ومحاولة إخضاعه للإسناد بغرض التأكد من صحته لذلك وقعوا في الخطأ التاريخي.

من هنا انتقد ابن خلدون الخطاب التاريخي برمته من خلال عرضه لعوامل الوقوع في الخطأ عند المؤرخين ونقده لموضوع التاريخ ومنهجه وهدفه فكان بذلك منظرا لعلم التاريخ لا مجرد ناقل .

خاتمة:

إن منهج السرد التاريخي عرضة للخطأ ويسهل من خلاله تزييف الأخبار ولذلك كان ابن خلدون يؤكد كما سبق الذكر على ضرورة الحذر من أسباب الوقوع في نقل الخطأ، وقد شرح هذه الأسباب بكل موضوعية، الأمر الذي جعله يفصل التاريخ عن العلوم الشرعية ويلحقها بالعلوم العقلية وهذا أيضا سبق لابن خلدون كونه عقلن علم التاريخ وأخرجه من دائرة العلوم الشرعية فهو بهذا أحدث قطيعة مع سابقيه ولم يتجاوزهم فحسب، فقد اجتهد ابن خلدون كثيرا لكي يبين أن التاريخ، عرضة للتبدل والتغير والتقلب ومنه فإن منهج الإسناد الذي يرغب في تثبيت الحقائق لا يتلاءم وموضوع التاريخ البشري، الذي يتطلب منهجا يراعي أحوال البشر المتبدلة والمتغيرة، وهو المنهج الذي أسس له ابن خلدون، وهو بهذا اختلف عن سابقيه في بعده عن الإثارة والوعظ والإقناع"[1] وفضل ابن خلدون معترف له حتى من قبل المفكرين الغربيين أنفسهم.

من خلال ما تقدم يمكننا القول إن ابن خلدون فيلسوف للتاريخ لأن فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها هي عبارة عن النظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة

[1] Y. Lacoste : Ibn Khaldoun, Naissance de l'histoire passe du tiers, monde F. Maspere, Paris, 1966, p 190.

فلسفية، ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية والعمل على استنباط القوانين التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مدى العصور والأجيال "لأن التاريخ لا يمكن أن يكون مجموعة أحداث تتوالى بدون هدف، أو معنى فهو لابد وأن يخضع لإرادة عليا تماما كما أن الأحداث الطبيعية تخضع للقوانين التي تحكمها"[1] إنه لا يمكننا إذن أن ننكر فضل ابن خلدون في تأسيسه لعلم التاريخ وهو فضل يقول عنه عمر فروخ: "إذا قسنا سائر المؤرخين في الشرق والغرب بابن خلدون واعتبرنا عقليته العلمية، واتجاهه الصائب لم نعد نبالغ إذا جعلناه مؤسس علم التاريخ في العالم كله حتى أن الذين جاءوا بعده أمثال -جان بودان- الفرنسي، -وجيوفاني باتيستا فيكو- الإيطالي من الذين يحب الغربيون أن يعزوا إليهم فضل تأسيس علم التاريخ قد قصروا عنه تقصيرا عظيما، هذا مع أن -فيكو- جاء بعد ابن خلدون بثلاثة مائة وأربعين عاما ومع ذلك. لم يستطع أن يتصور من الخرافات والأوهام التي نبه ابن خلدون إليها وحذر من الوقوع فيها"[2].وعلميته تكمن في فصله التاريخ عن العلوم الدينية وربطه بالعلوم العقلية.

[1] F. Laurent : La philosophie de l'histoire, Paris, 1870, p 18.

[2] عمر فروخ: عبقرية العرب في العلم والفلسفة، منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها، ط2، بيروت، 1952، ص 143.